

الحلقة التاسعة والعشرون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء الماضي في الأمثال التي تحدثت عن نتائج الاجتهاد والكسل على حياة الإنسان. وعن الأمثال التي تكلمت عن الشهادة الصادقة والكاذبة، وكلام الصدق وكلام الكذب، والفرق بين ذوي اللسان الحاد والحكماء الذين يعزّون الآخرين بكلامهم.

هل أنت منضبط في حياتك يا صديقي؟ أو بتعبير آخر هل أنت منضبط في سلوكك وفي كلامك؟ وهل أنت حكيم في تصرفاتك؟ أم على العكس تسلك كما يخلو لك، وتتكلم دون إقامة وزن واعتبار للناس من حولك؟ وتتصرف كما تشتهي نفسك؟

كتب سليمان الحكيم قائلاً: "الابن الحكيم يقبل تأديب أبيه والمستهزئ لا يسمع انتهاراً". (أمثال ١٣:١) هذه إشارة واضحة للسلوك الحكيم. فعندما يقبل الابن تأديب أبيه، فهذا يعني أنه يتحلّى بالانضباط والحكمة، لكنه عندما يستهزئ بالتأديب فهذا يشير إلى حمقه وعدم انضباطه.

وتابع سليمان الحكيم متحدثاً عن الانضباط في الكلام أيضاً فقال: "من ثمرة فمه يأكل الإنسان خيراً ومرام الغادرين ظلم". من يحفظ فمه يحفظ نفسه من يشحر شفثيه فله هلاك". (أمثال ١٣:٢ و٣)

يبدو واضحاً من هذين المثلين أهمية ضبط الإنسان لكلامه وحفظه لفمه، إذ عندها يحصد ثمر كلامه المسؤول ويحفظ نفسه. لكنه عندما يتهور في كلامه ولا يقيم أية ضوابط على شفثيه، فإنه لابد أن يجني العواقب الوخيمة.

ثم تحدث سليمان الحكيم عن الانضباط في موقف الإنسان إزاء العمل، فكتب قائلاً: "نفس الكسلان تشتهي ولا شيء لها ونفس المجتهدين تسمن". (أمثال ١٣:٤) إن الإنسان الذي يتراخى في عمله فلن ينال أي شيء تشتهي نفسه، بينما المجتهد لابد أن يحصل على مبتغاه.

وكعادته انتقل بعدها سليمان الحكيم للحديث عن عدد من المقارنات الهامة. فقارن أولاً بين سلوك الصديق وسلوك الشرير. فكتب قائلاً: "الصديق يبغض كلام كذب والشرير يُخزي ويُجبل. البر يحفظ الكامل طريقه والشر يقلب الخاطئ". (أمثال ١٣: ٥ و ٦) إن الإنسان الأمين الصادق تراه يبغض كلام الكذب ويحاول أن يكون صادقاً في كلامه، بينما الشرير لا يكثر بهذا الأمر لهذا تكون النتيجة أن كلامه يكون خزيًا وعاراً عليه. وهكذا نرى أن طريق البر أي الصدق يحفظ الإنسان، بينما طريق الشر يدمر حياته.

ثم انتقل سليمان الحكيم للمقارنة بين الغنى الحقيقي والغنى الباطل، فكتب قائلاً: "يوجد من يتغنى ولا شيء عنده ومن يتفاقر وعنده غنى جزيل". (أمثال ١٣: ٧) فقد يكون الإنسان غنياً بالمادة، لكن ليس الغنى الحقيقي المتمثل بالعلاقة مع الله والفضائل السامية. وفي المقابل قد يكون الإنسان فقيراً لكنه في نفس الوقت يملك أعلى الكنوز الثمينة، والتي هي ربح ملكوت الله، وأن يكون معتبراً من أولاد الله، وحاصلاً على كل البركات الروحية التي يهبها الله للإنسان المؤمن. أي يكون غنياً لله.

وهذا يقودنا إلى المثل التالي القائل: "فدية نفس رجل غناه. أما الفقير فلا يسمع انتهاراً". (عدد ٨) وهذا يشير إلى أن للغنى كما للفقير فوائده. فالغني يعتمد على ثروته لإنقاذ نفسه من المآزق، بينما الفقير لا يبالي بشيء، لأنه لا يوجد عنده ما يخسره.

وفي مقارنة أخرى بين الأبرار والأشرار نقرأ المثل التالي: "تور الصديقين يفرح وسراج الأشرار ينطفئ". (عدد ٩) إن الصديقين أي الأبرار لا بد أن يشرق نورهم على الجميع ويجلب السرور والفرح، بينما سراج الأشرار أي نورهم الضعيف لا بد أن ينطفئ ويضمحل. فمن أي الفريقين أنت مستمعي الكريم؟ هل من فريق الصديقين الأبرار الذي يشرق بنوره على الآخرين والذي يجلب الفرحة لهم؟ وهل تعلم كيف تصبح من هذا الفريق الذي يأتي غناه الحقيقي من الدخول إلى ملكوت الله والحصول على كل الفضائل الروحية السامية؟

ثم قارن سليمان الحكيم بين الكبرياء والوداعة فكتب قائلاً: "الخصام إنما يصير بالكبرياء ومع المتشاورين حكمة". (عدد ١٠) فالكبرياء تولد الخصومة، وهذا ما نلمسه واضحاً في الحياة العملية، إذ أن كبرياء الإنسان تجلب له الخصومات. بينما الوداعة تأتي له بالحكمة أو بالسلام مع الجميع.

بأية وسيلة يجمع الإنسان أمواله؟ هل عن طريق الغش والخداع أم عن طريق الاجتهاد والعمل؟ حول هذا الموضوع نقرأ المثل التالي: "غنى البطل يقل والجامع بيده يزداد". (عدد ١١) أجل إن غنى الظلم والخداع لابد أن يندثر سريعاً، بينما مال الاجتهاد الحقيقي يبقى.

ماذا يحصل لو تمنيت أمراً لسنين طويلة ولم تتحقق أمنيتك تلك؟ ألا تصاب بالخيبة والإحباط. حول هذا الموضوع كتب سليمان الحكيم قائلاً: الرجاء المماطل يُمرض القلب والشهوة المتممة شجرة حياة". (عدد ١٢) نعم إن عدم تحقق الرجاء يُمرض القلب، بينما تحقق الشهوة يزهر الحياة.

مستمعي العزيز، ما هي نتيجة الذين لا يسمعون لكلمة الله ولا يعملون بحسب ما جاء فيها؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "من ازدري بالكلمة يُخرب نفسه ومن خشي الوصية يُكافأ". (أمثال ١٣: ١٣) إن من استهان بكلمة الله وازدري بها فهو يجلب على نفسه الخراب والدمار، بينما الذي يعمل بها لابد أن يربح المكافأة.

وهذا يقودنا إلى ما قاله الرسول يعقوب أحد رسل المسيحية الأوائل، عندما كتب قائلاً: "لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شرراً فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم. ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم". (رسالة يعقوب ١: ٢١ و ٢٢) إن كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدس يا صديقي عندما تؤمن بها هي التي ستساعدك على معرفة طريق الله، طريق الخلاص من عبودية الخطية، وتنقي حياتك من الداخل وتطهرها، وتجعل سلام الله وفرحه يملآن قلبك.

فهل حصلت مستمعي على نسخة من الإنجيل المقدس؟ وهل تعلم مدى أثرها على حياتك؟ إن كل الذين قرأوا كلمة الله لمسوا التأثير الكبير لها على حياتهم، واكتشفوا خلاص الله العجيب. فإذا لم تكن تملك نسخة أسرع واطلبها.